فضل الصبر على المرض وعيادة المريض

إعداد الشيخ/ صلاح نجيب الدق
فرع بلبيس

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

وبعدُ: فإنَّ الصبر على المرض، بنفس راضية، له ثمرات مباركة في الدنيا ويوم القيامة، وحول هذه المعاني المهمة أقول وبالله تعالى التوفيق:

لقد ابتلى اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى كثيرًا مِنَ الأنبياء والصالحين ليختبر صبرهم ليرفع درجاتهم في جنات النعيم، وأشد الناس ابتلاءً هُمُ الأنبياء ثم الصالحون، فقد ابتلى سُبحانَهُ نبيه أيوب صلى الله عليه وسلم بالمرض سنوات عديدة، فصبر على ذلك ثم شفاه الله عز وجل برحمته. قال سُبحانَهُ وتَعالَى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) (الأنبياء: ٨٣: ٨٤).

فضل الصبر على المرض:

الصَّبْرُ: هُوَ الرِّضَا التَّامُّ بِما قَدَّرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى على المسلم، وعَدَمُ الشَّكْوى لغير الله تَعَالَى. (التعريفات- الجرجاني- ص١٣١).

لقد حثنا الله تَعالَى في كتابه العزيز وكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في سُنته المباركة على الصبر على المرض وغيره لما يترتب على ذلك من جزيل الأجر ورفع درجات العبد في الجنة، وسوف نتحدث عن فضل الصبر بإيجاز.

قال جل شأنه: (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل:٩٦)، وقال تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر: ١٠).

قال الإمامُ الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: (بِغَيْرِ

Upload by : altawhedmag.com

حساب) أي: بما لا يقدرُ على حصْره حاصرٌ، ولا يستطيعُ حُسبانَهُ حاسبٌ.(فتح القدير- للشوكاني- ٤/ ٥٢١).

وعن أبي سعيد وأبي هُريرة رضيَ اللَّه عنهما، أنَّهما سمعا رسولَ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، يقولُ: ما يُصيبُ المؤمنَ من وصَبٍ ولا نصَبٍ ولا سقَمٍ ولا حزَنٍ حتَّى الهمِّ يهمُّهُ إلَّا كفَّرَ به من سيِّئاتِه. (رواه مسلم: ٢٥٧).

وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللَّه عنْهُ، قال:سمعْتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، يقولُ: إنَّ اللَّه قال: إذا ابْتَليتُ عبْدي بحبيبتَيه (أي: عينَيه) فصبرَ عوَّضْتُهُ منْهُما الجنَّة. يُريدُ عينَيه. (رواه البخاري: ٥٦٥٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمهُ اللَّه: المُراد أنَّهُ يصْبر مُسْتحْضرًا ما وعَدَ اللَّه به الصَّابر منْ الثَّواب، لا أنْ يصْبر مُجرَّدًا عنْ ذلكَ؛ لأنَّ الأعْمال بالنِّيَّات، وابْتلاء اللَّه عبْده في الدُّنْيا ليس منْ سُخْطه عليه بلْ إمَّا لدفْع مكْروه أوْ لكفَّارة ذُنوب أوْ لرفْع منْزلة. فإذا تلقَّى ذلكَ بالرِّضا تمَّ لهُ المُراد. (فتح الباري لابن حجر جـ١٠ صـ ١٢١).

عنْ عبْد اللَّه بنِ مسعود رضيَ اللَّه عنْهُ، قال: قالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: ما منْ مُسْلم يُصيبُهُ أذًى إلَّا حاتَّ اللَّه عنْهُ خطاياهُ كما تحاتُّ ورقُ الشَّجر (رواه البخاري: ٥٦٦٠، ومسلم: ٢٥٧١).

عن جابرِ بْنِ عبْد اللَّه رضيَ اللَّه عنْهُما، أنَّ رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم، دخَلَ على أمِّ السَّائب، فقالَ: ما لكِ يا أمَّ السَّائب تُزفْزفينَ؟ قالتْ: الحمَّى، لا باركَ اللَّه فيها. فقالَ: لا تسُبِّي الحمَّى، فإنَّها تُذْهبُ خطايا بني آدمَ، كما يُذْهبُ الكيرُ خبَثَ الحديد. (رواه مسلم: ٢٥٧٥).

استمرار ثواب أعمال المريض

عن أبي مُوسى الأشعري رضيَ اللَّه عنْهُ، قال: قالَ رسولُ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: إذا مرضَ العبْدُ أوْ سافرَ كُتبَ لهُ مثْلُ ما كانَ يعْملُ مُقيمًا صحيحًا. (رواه البخاري: ٢٩٩٦).

وعنْ شدَّاد بْنِ أوْس رضيَ اللَّه عنْهُ، قال: سمعْتُ رسولَ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، يقولُ: إنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ يقولُ: إنِّي إذا ابْتليتُ عبْدًا منْ عبادي مُؤْمنًا فحمدني على ما ابْتليْتُهُ فإنَّهُ يقومُ منْ مضْجعه ذلكَ كيوْم ولدَتْهُ أمُّهُ منْ الخطايا، ويقولُ الرَّبُّ عزَّ وجلَّ أنا قيَّدْتُ عبْدي وابْتليْتُهُ فاجْرُوا لهُ كما كُنْتُمْ تُجْرُون لهُ وهُو صحيحٌ. (صحيح الجامع للألباني: ٤٣٠٠).

قال ابن عثيمين رحمهُ اللَّه: المُتمني للخير، الحريص عليه: إن كان من عادته أنه كان يعمله، ولكنه حبسه عنه حابسٌ، كُتبَ له أجرهُ كاملاً. فمثلاً: إذا كان الإنسان من عادته أن يصلي مع الجماعة في المسجد، ولكنه حبسه حابس، كنوم أو مرض، أو ما أشبهه فإنه يُكتب له أجر المصلي مع الجماعة تماماً من غير نقص. (شرح رياض الصالحين- لابن عثيمين- ١/ ٣٦).

وجوب التداوي والأخذ بأسباب الشفاء:

أخي المسلم الكريم: ما أصابك من المرض إنما هو من قدر الله تعالى، والدواء كذلك من قدر الله، فاحرص على الأخذ بأسباب الشفاء وذلك بحسن الظن والتوكل على الله والذهاب إلى ذوي الخبرة من الأطباء، الموثوق في دينهم وعلمهم بالطب، فإن الله تعالى أنزل الداء وجعل له الدواء.

وعنْ أُسامةَ بْنِ شريكٍ رضيَ اللَّه عنْهُ، قال: أتيْتُ النَّبيَّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، وأصْحابُهُ كأنَّما على رُءوسهمُ الطَّيرُ فسلَّمْتُ ثُمَّ قعدْتُ فجاءَ الأعْرابُ منْ ها هُنا وها هُنا فقالُوا: يا رسولَ اللَّه أنتداوى؟ فقالَ تداوَوْا، فإنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ لمْ يضعْ داءً إلَّا وضعَ لهُ دواءً، غيرَ داءٍ واحدٍ: الهرَمُ (أي: كبرُ السِّن). (صحيح أبي داود للألباني: ٣٢٦٤).

Upload by : altawhedmag.com

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء. (رواه البخاري: ٥٦٧٨).

وعن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل. (رواه مسلم: ٢٢٠٤).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: في الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش، والحر، والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا (زاد المعاد- لابن القيم- ١٥/٤).

فضل عيادة المريض:

لقد حثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على زيارة المريض، وبين لنا فضل عيادة المريض في كثير من أحاديثه. فعن ثوبان رضي الله عنه، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة. قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة؟ قال: جناها. (رواه مسلم: ٤٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس (رواه البخاري: ١٢٤٠).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ما من مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة. (صحيح سنن الترمذي للألباني: ٧٧٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من عاد مريضا نادى مناد من السماء: طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا. (صحيح سنن ابن ماجه للألباني: ١١٨٤).

آداب عيادة المريض:

زيارة المريض لها آداب ينبغي على المسلم معرفتها والعمل بها، نستطيع أن نوجزها في الأمور التالية:

١- إخلاص العمل لله تعالى وحده والابتعاد عن الرياء والسمعة.

٢- اختيار الوقت المناسب لزيارة المريض.

٣- غض البصر عن محارم المريض.

٤- عدم إطالة الجلوس عند المريض حتى يتضايق.

٥- يقلل السؤال عن المريض.

٦- لا يتكلم عند المريض بما يزعجه.

٧- إظهار الرأفة على المريض.

٨- الإخلاص في الدعاء للمريض.

٩- يوسع للمريض في الأمل.

١٠- يشير على المريض بالصبر لما فيه من جزيل الأجر.

١١- إذا كان المرض هو مرض موت، فإننا نذكر المريض بمحاسن أعماله، ونخفي عنه سيئها، حتى يحسن الظن بربه سبحانه.

١٢- الرقية لمن يحسنها طلبا لشفاء المريض.

١٣- ذكر فضل المرض، وأنه كفارة للذنوب حتى يصبر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com